جماليات النقد النفسي

عند شارل مورون CHARLES MAURON

أ. عبد اللطيف حني *

بسط منهجي :

عرف المشهد النقدي العربي المعاصر تنوعا زاخرا ووافرا في الآراء والمناهج النقدية الوافدة ، بالتحليل والدراسة على الإنتاج الإبداعي العربي بمختلف مشاربه واتجاهاته ، بالرغم مما يعيشه النص الأدبي من تحولات جذرية كالانتقال من الورقية إلى الرقمية وتوظيف « الوسائط المتفاعلة لإنتاج الإبداع الأدبي باعتباره نمطا من أنماط التعبير الأساسية للتواصل بين الناس »(1)، وزيادة الاحترافية لدى قارئه وغيرها من الانعتاقات التكنولوجية ، إلا أن الخطاب النقدي المعاصر تمكن من تشكيل بنى وتصورات لها نظرتها الخاصة وفق أدواتها النقدية التي تنسجم مع هذا النص ، ومن أهم المناهج النقد النفسي PSYCHOCRITIQUE الذي حقق نجاحا معتبرا في تفسير وتأويل النصوص الأدبية مستفيدا من مبادئ الطب النفسي ، ويعد شارل مورون CHARLES MAURON من رواد مدرسة التحليل النفسي PSYCHANALYESE التي استفادت من جهود المدرسة الفرويدية واليونغية

* المركز الجامعي بالطارف .

(1) سعيد يقطين ، من النص إلى النص المترابط ـ مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي ـ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1 ، 2005 ، ص 60 ـ 61 .

المنارة للاستشارات

ولاكانية الرائدة في النقد النفسي PSYCHOCRITIQUE . لذلك تسعى هذه الدراسة إلى محاولة التعريف بجهود أبرز رواد مدرسة النقد النفسي شارل مورون في تفسير النصوص الأدبية ، والتطرق لتقنياته ومصطلحاته النقدية ، وتبيان الجماليات الفنية النقدية التي تميز بها من خلال إستراتجيته النفسية الفذة .

و على هذا الأساس قسمت الدراسة المتواضعة إلى ثلاثة أقسام :

1 . شارل مورون وأهم آثاره .

2 . منهج شارل مورون في التحليل النفسي النقدي .

3 . جماليات النقد النفسي عند شال مورون من خلال :

أ . جمالية مصطلح الورشة الواسعة .

ب . دور ممارسة المطابقات SUPERPOSITIONS في بناء العمل الأدبي .

ج . جمالية الأسطورة الشخصية MYTHE PERSONNEL .

د . قيمة الدراسة السيرية .

هـ . التشكيلات التصويرية والمواقف الدرامية .

1 ـ شارل مورون وأهم آثاره :

إن التلاقي بين الأدب والتحليل النفسي قد تحقق على يد الناقد الفذ شارل مورون CHARLES MAURON (1899 ـ 1966) فقد تكونت لديه ثقافة علمية وأدبية في نفس الوقت . فهو قد درس الآداب الإنجليزية إلى جانب العلوم الإنسانية والتجريبية وعلم النفس خاصة ومن أهم دراساته نذكر :

ـ دراسة عن الشاعر مالارميه . عام 1940 .

ـ دراسة هامة عن الشاعر راسين تحت عنوان: اللاشعور في آثار راسين. نشرها في عام 1957.

ـ الاستعارات الملحة والأسطورة الشخصية (دراسة) . عام 1962 .

ـ النقد النفسي للفن الكوميدي . عام 1964 .

ـ فيدر PHEEDRE . عام 1968 .

المنارة للاستشارات

و قد كانت هذه الدراسات مساهمة قيمة وهامة في مضمار النقد النفسي PSYCHOCRITIQUE للأدب وقد اتجهت دراساته نحو تعميق فهمنا لدور مخبآت اللاشعور في تشكيل الآثار الأدبية .

2 ـ منهج شارل مورون في التحليل النفسي :

تعتبر أغلب البحوث والدراسات النقدية أن الناقد الفرنسي شارل مورون / C. Mouron ، يعود إليه الفضل في ابتكار مصطلح النقد النفساني / (Psycho- critique) سنة 1948 ، وبهذا الجهد المعتبر في ميدان الدراسات الأدبية يكون مورون قد حقق للنقد الأدبي انتصارا منهجيا كبيرا ؛ إذ استطاع بذهنيته وحسه الكبير أن يفصل النقد الأدبي عن علم النفس ، ويحرره من تلك القيود التي تحكمه »[1] وفكه من القيود السريرية بأن جعل النقد الأدبي يرتقي ويخرج من كونه أكبر من مجرد شارح وموضح ومبين له ، وعلى هذا الأساس اقترح منهجا لا يجعل من التحليل النفسي غاية في ذاته ، بل ينظر إله على أنه وسيلة منهجية للاستعانة بها في تحليل ودراسة النصوص الأدبية.

من هذا المنطلق يثمن شارل مورون ، العمل الأدبي ويعطيه الأهمية الكاملة فهو الغاية و لا بد من تسخير كل الوسائل النقدية لخدمته وتحليله وكشف جمالياته ومكنوناته ، وقد عرف بالقارئ الشغوف من خلال أعماله النقدية الإبداعية ، لذلك طوع أداة التحليل النفسي وجعلها خادمة للنقد كما عبر عنه جونيت GENETTE في كتابه الموسوم بـ (القراءة النفسية PSYCHOLECTURE)، لذلك يعتمد نقده للأعمال الأدبية « على التحليل النفسي وينظر إليه على أنه ضرورة أساسية ومهمة »[2]، يخرج عن كونه مجرد أداة أو وسيلة للتحليل أو للفهم والدراسة « فقد قام عام 1938 بفك رموز قصائد مالارميه (التي كان يعتقد حينئذ بأنها عصية تماما على التأويل) عن طريق توضيح النصوص بعضها ببعض . إذ بدا له ـ أنه أمام شبكة من الاستعارات التي كان يكتشفها ـ أن المبادئ الفرويدية في تأويل الأحلام هي

(1) يوسف ميخائيل أسعد، سيكولوجيا الإبداع في الفن والأدب الهيئة المصرية ط1،1986 ، ص 52 .

(2) محمد خلف الله ، من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده ، معهد البحوث والدراسات ، ط2 ، 1970 ، ص32 .

المنارة للاستشارات

وحدها التي تسمح له بالمضي قدما في فهم العمل الأدبي ورهاناته »[1].

انطلاقا من دراسته المتراوحة بين مالارميه وفرويد ، خاصة في كتابه التحليل النفسي لمالارميه وماري بونابرت عن ادغار ومقابلة النصوص بعضها ببعض استطاع مورون أن يبتكر منهجه النقدي الخاص ، بل ووضع مصطلحاته النقدية التي يراها تحقق التحليل الشامل للعمل الأدبي والتي سنتناولها كجماليات لنقده النفسي .

كانت سنة 1948م البداية والانطلاقة لمورون لانتهاج طريقة جديدة وهي النقد النفسي PSYCHOCRITIQUE ، مؤكدا على استقلاليته وتحرره من آليات التحليل النفسي PSYCHANALYE وممارساته العيادية ، واستبعد « أن يكون التحليل النفسي للأدب والفنّ مجرّد تحليل « كلينيكيّ »، تَحْكمه قواعد التّشخيص الطّبيّ، كما استبعد أن يكون الأديب أو الفنّان ـ في كلّ الحالات ـ إنساناً عصابيّاً، أو أن يكون أدبه كشفاً عن أمراضه، علماً أنه لم يهمل بعض فرضيات التحليل النفسي في تناوله شخصية الأديب وعمله الأدبي »[2] ، و صب كل جهوده من أجل إيجاد « أدواته النقدية الخاصة حسب الغاية التي يضعها لنفسه من أجل تحقيق كشف فني كامل للعمل الأدبي ، وبذلك يصل إلى الإنتاج الجمالي الفعال ، ونستطيع القول عن هذا الناقد الفذ أنه « المبتكر الوحيد لمنهج محدد شبيه بالإجراءات المتبعة في الممارسة التحليلية ذاتها ، لكنه لا يتطابق معها . أما أعماله فهي كثيرة إذ تتناول مالارميه ، وراسين ، وبودلير ، ومولبير ، وفاليري ، وهوغو. . . وغيرهم »[3].

فقد كان مورون على دراية وإطلاع واسع بأعمالهم خاصة مالارميه ؛ إذ يحفظ أعماله عن ظهر قلب ، مما أهله لوضع أسس لمنهجه الذي يعتمد على الممارسة والتعامل والاندماج الدائم مع النصوص الأدبية ، حتى لا يتحول المنهج إلى وصفات وإجراءات لا فعالية لها ، ولا ترجو منها النتيجة .

و قد قام بتطبيق منهجه ؛ إذ قام بدراسة شخصية « راسين » ومسرحيّاته، واهتمّ

(1) مجموعة من الكتاب ،مدخل إلى مناهج النقد الأدبي ، ترجمة رضوان ظاظا ، مراجعة المنصف الشنوفي ، عالم المعرفة الكويتية ، عدد 221 ، مايو 1997 ، ص 60 .

(2) حسن ثائر ، البحث النفسي في إبداع الشعر، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ط1 ،1986 ، ص45 .

(3) الواد حسين، قراءات في مناهج الدراسات الأدبية، سراس للنشر، تونس ، 1985، ص 63 .

المنارة للاستشارات

باللاشعور، ومركّب « أوديب» ، ومبدأ اللّذّة، والسّادية والمازوخيّة، والكَبْت الـشّديد، ورقابة الأنا الأعلى. . . ولم يهمـل أيـضاً تحليـل الـصّراعات الكامنـة وراء المآسـي، واستخلاص بنيتها المتجانسة بالاعتماد على العناصر البيوغرافية .

استطاع مورون أن يقدم قراءة أدبية حقيقية للعمل الأدبي انطلاقا من أطروحته (من الاستعارات الملازمة إلى الأسطورة الشخصية Des metaphores obsedantes au mythe personnel) وذلك بـصورة تربويـة معتمـدا في منهجـه علـى المراحـل الأربع التالية ـ والتي تشكل **جمالياته ـ:**

أ ـ يعمـل علـى اسـتخراج التـشكيلات التـصويرية FIGURES والمواقـف الدرامية المرتبطة ، حيث عمل على إقامة علاقة بين السياق السياسي والبنيات الأدبية للكوميديا فشارل مورون Charles Mauron ، يميز في ما سماه بالأنساق الكوميديـة ويتخذها أداة فعالة للتحليل النقدي ويجعلها المؤثر في كل الإبداعات .

ب ـ تكون وتطور الأسطورة الشخصية الـتي ترمـز إلى الشخـصية اللاواعيـة وتاريخها « من خلال تداعي الصور المجازية بعضها على بعض لتركيب شبكةٍ مـن الدّلالات المستقلّة عن التّراكيب الواعية المتمثّلة فيمـا اختـاره الأديـب مـن عبـاراتٍ وأفكار. فهذه الشبكة الدّلالية تمثّل جانب اللاّوعي من حيـاة الأديـب الخفيّـة، وهـي التي تقُودنا إلى الصّور الأسطورية، والحالات المأساوية والباطنية الـتي انطلـق منهـا الأثر الأدبي »[1].

ج ـ الاعتماد على دراسة معطيات السيرة الذاتية التي تساعد على التحقق مـن التأويل ، ولا تظهر قيمتها وأهميتها ومعناها إلا من خلال قراءة النـصوص الأدبيـة ، وتعتمد هذه المعطيات على عوامل ثلاثة تعد منطلقات للسيرة الذاتية ، تكـوّن الإبداع الأدبي، هي: الوسط الاجتماعي وتاريخه، وشخصية الأديب وتاريخها، واللّغـة وتاريخهـا والعامـل الثـاني ــ أي شخـصية الأديـب وتاريخهـا ـ هـو موضوع النقد النّفسي في المقام الأول.

وعلى هذا الأساس فمنهج مورون منهج قـرائني ، بنـائي (تـزامني) وتـاريخي (تعاقبي) ؛ إذ يخوض المغامرة مع النصوص الأدبية لاكتشاف البناء الرمزي لصراع

(1) مجموعة من الكتاب ، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي ، ص 81 .

المنارة للاستشارات

نفسي داخلي كامن في خباياه غير مترائي وظاهر في البدء وينكشف من خلال المرور بالمراحل الأربع للنقد النفسي .

3 ـ جماليات النقد النفسي عند مورون من خلال :

أ . جمالية مصطلح الورشة الواسعة :

إن دراسة وتحليل الأثر الأدبي تتم وفق حركة دائرية تتمثل في الذهاب والإياب المستمر بين المراحل الأربع السالفة الذكر ، وبذلك نقوم ببناء ورشة واسعة تبحث في خبايا العمل الأدبي ، فيكون « التحليل النفسي لـ مالارميه PSYCHANALYESE DE MALLARME بمنزلة (ورشة) أي تقرير عن تجربة في التحليل النفسي . أما إعادة بناء المنهج منطقيا فتأتي بعد ذلك كما في نصوص التحليل النفسي النظرية ـ العملية ـ ويتدخل العمل الترابطي التأويلي ، وكذلك المطبقات ، على مدى البحث لإجراء التعديلات وللضبط »[1].

و من ثمة يرى مورون أن الأعمال الأدبية تتطلب من الدارس الذوق والتعمق في ثناياها، والغوص في بناها العميقة وخاصة في توظيف منهج التحليل النفسي ، ويغدو البحث في الروابط الخفية التي تشد مكامن وأساسيات العمل الأدبي بمثابة الورشة الواسعة التي تتضمن وتحتوي على كل الوسائل التي تقوم بتشريح وتفصيل وتجزئة الأثر الأدبي، كالوقوف أمام شبكة الاستعارات، ووصف الدراسة بالواسعة في أهدافها ومراميها ونتائجها، لذلك استطاع مورون أن يتلمس طريقه بين مالارميه وفرويد وأن يرسم خطوط منهجه ويضع حدود ورشته الواسعة وكل مصطلحاتها ومفردات منهجه الخاصة .

ب . دور ممارسة المطابقات SUPERPOSITIONS في بناء العمل الأدبي :

دراسة المطابقات أحد أساسيات منهج شارل مورون وتعد جمالية في نقده وتناوله للآثار الأدبية ، وهي رؤية الأنظمة والعلاقات التي تحكم النص .

إذا كان مورون قد أعطى اهتماما خاصا لملارميه ، فذلك لأنه وجد في شعره

(1) المرجع نفسه ، ص 80 .

المنارة للاستشارات

تأييدا لوجهة نظره عن الرابطة الوثيقة بين عالم الفرد المبدع وطبيعة عالم النص ، ويمكننا أن نفسر الجوانب العامة لهذه الدراسة وحسبنا أن نقول أنها تدور حول حصار فكرة الموت عند الشاعر وإصابته بعقدة أوديب.

فهناك حادث هام في حياة مالارميه وهذا الحادث هو موت أخته ماريا MARIA في الثالثة عشر من عمرها حين كان الشاعر في سن الخامسة عشر ، ومورون وجد أن اغلب الباحثين الذين تناولوا دراسة شعر مالارميه لم يشيروا إلى هذه الحادثة ، بل ولم يستفيدوا منها حتى في الجانب السيكولوجي لشخصية مالارميه رغم أنها تعد عنصرا في فهم وقائع هامة في حياة الشاعر . وليس في آثار مالارميه إلا نصا واحدا يذكر فيه ماريا MARIA وموتها صراحة وهذا النص نجده في القصيدة المسماة شكوى خريف : « منذ تركتني ماريا فضمني موكب آخر ... أصبحت أوثر الوحدة دائما ... وأصبحت أحب حبا غريبا . حبا يعادل السقوط »[1] وقد كتب ملارميه حين كان تلميذا قصيدة (الأنشاء الفرنسي) بصورة عفوية فقال : « رجل جالس وحيد في البيت قرب الموقد يحلم بابنته الميتة وفي المقبرة المجاورة تخرج فتاة من قبرها وتأتي لتزور أباها وتجلس بجانبه أمام الموقد ، وترقص وتغني ثم تختفي في الصباح »[2] لقد اختار مالارميه هذا النص بعد موت أخته بقليل .

و في هذا السياق نقف عند الرسالة التي بعثها مالارميه لصديقه كازاليس في أول جويلية من عام 1862 وكان كازاليس قد أرسل إليه صورة حبيبته ، فأجابه مالارميه أن هناك عبارة تضيء رسالتك كلها ألا وهي عبارة : « إليك يا عزيزي صورة أختنا ما أعذب هذه الكلمة، إن فتاتك ستصطف إلى جانب ذلك الطيف الحزين طيف أختي ماريا ... لقد كانت الشخص الوحيد الذي عبدته قبل أن أعرفكم جميعا ستكون فتاتك المثل الأعلى في الحياة كما أن أختي المثل الأعلى في

(1) ينظر : سمير سعد حجازي ، النقد الأدبي المعاصر قضاياه واتجاهاته ، دار الآفاق العربية القاهرة ، الطبعة 1 ، 2001 ، ص 56 .

(2) ينظر : المرجع نفسه ، ص ن .

المنارة للاستشارات

الموت »[1] و يعلق مورون على هذا الحادث ليبين لنا كيف أن مالارميه قد تركت حادثة أخته آثارا هامة على حياته الداخلية وهو يعبر عن ذلك لصديقه بلغة مأثرة تأثيرا مباشرا ومن المعلوم أن مالارميه قد ماتت أمه وعهد به إلى جده فكانت أخته ماريا MARIA هي الرابطة الوحيدة التي كانت تربطه بأمه .

و كتب مالارميه قصيدته المشهورة إلى عزيزتنا الميتة عند موت إيتى حبيبة صديقه عام 1877 ويصف في هذه القصيدة رجلا وحيدا لم يستطع أن يثوي في الضريح الذي يوجد قرب حديقة بيته.

إن قراءة النصوص الشعرية على ضوء فهمنا لكل المعاني التي تدور حولها أشعاره تتميز بوحدة ترابطية عميقة وفيها تتابع تداعيات المعاني ويتدفق تيار من العواطف والتعابير التي تدور أساسا حول أخته ماريا MARIA، « فالأخت الميتة قد ظلت تحاصر خيال الشاعر خفية من أعماق ما تحت الشعور فتوحي إليه باختيار هذه الصور التي تسوي بين حالة الشاعر النفسية والقصيدة الماثلة من جهة وبين الحصار الخفي الذي كان يظهر من حين لآخر من جهة أخرى »[2].

فذلك الموت قد لعب دورا هاما في حياة الشاعر وفي آثاره الشعرية ، كما أن ثمة تيار من الصور الدائمة يتجاذب ويتداعى من قصيدة لأخرى ووجود ذلك من التداعي يوحي بأن ثمة عناصر ثابتة محاصرة يربط بينها رباط بارع عن طريق الصور البلاغية التي نجدها شائعة في أغلب قصائده والتي يمكن أن نستشف من ورائها بأن موت أخته كانت تجربة هامة في حياته وأن كل ما يتصل بذلك الموت كان لابد بتجمعه أن يشكل حول هذه التجربة عقدة، وهذه العقد تتطلب تحليلا خاصا ليس تحليلا أدبيا محضا كما أنه ليس تحليلا نفسيا فهو تحليل يعتمد على البحث في المعنى المقروء للنص وهذا المعنى المقروء مرتبط بصورة معينة بجوانب النفس اللاشعورية عند المبدع ، فهذا الاتجاه في الدراسة يوضح في العمل الأدبي بعدا جديدا ألا وهو بعد العمق اللاشعوري الذي نصل إليه عن طريق ذلك المعنى الذي يتضمن في الواقع رأي شارل مورون المعتمد على معنين قائمين في

(1) ينظر : المرجع نفسه ، ص ن .

(2) المرجع نفسه ، ص 57 ـ 58 .

المنارة للاستشارات

مضمون النص الظاهري وفي مضمون النص الكامن يتقطعان في شبكة من الصور الفنية بكيفية جمالية ممتعة .

ج . جمالية الأسطورة الشخصية:

إن المتتبع لبحوث القارئ الشغوف مورون يلاحظ أنه لم يقصر دراسته على إعادة صياغة لبعض المفاهيم النفسية الأدبية بل أوغل في صميم ماهية العلاقة النفسية الأدبية من أجل إعادة تأسيس هذه العلاقة على ضوء مفاهيم النقد الأدبي وعلم النفس في نفس الوقت ، مع إبراز العناصر وبنيات التداعي والتدفقات الوجدانية اللاإرادية للوصول إلى ما سماه بالأسطورة الشخصية للكاتب التي تبدو في الأثر الأدبي على نحو غير شعوري، بحيث تضغط على جوانب النفس الشعورية عند المبدع في لحظات إبداعه الخاصة وبذلك « تتكون هذه التشكيلات الأسطورية . إنها تمثل (موضوعات داخلية) وتتشكل بتماهيات IDENTIFICATION متتابعة ، فالموضوع الخارجي يستبطن EST INTERIORISE ليصبح شخصا داخل الشخص . بالعكس ، فإن مجموعة من الصور IMAGES الداخلية ، المشحونة بالحب والكراهية ، تسقط على الواقع.و هكذا فإن تيارا مستمرا من التبدلات يملأ العالم الداخلي ، إنها نوى شخصية يتم فيما بعد تمثلها ودمجها بصورة تقريبية في بناء شامل »[1]. كما أن الأسطورة الشخصية مرتبطة بالمجال الاجتماعي لأن هذا الأخير يساهم في تشكيلها وتكوينها وبلورتها خاصة في المراحل المقبلة للطفولة ويمكن للناقد أن يصل إلى اكتشاف هذه المرحلة عن طريق استنباط الدلالة الخاصة من الأثر الأدبي ومحاولة الوقوف بوجه خاص على الاستعارات والكنايات والعناصر المشكلة المضمرة في ثناياه باعتبارها تعبيرا رمزيا يصور مكنونات اللاشعور للمبدع ، ومن الواضح أن كل الاستعارات والكنايات المضمرة في النص لا تكون من أصل لا شعوري بحت وفي هذا الصدد يبين لنا مورون الأسطورة الشخصية فيقول : « أنها ليست مظهرا من مظاهر العصاب الشخصي لكنها تبدو في صورة دفقات مستمرة في باطن الفرد المبدع فهي عملية نفسية متصلة بالعالم الخيالي

(1) مجموعة من الكتاب ،مدخل إلى مناهج النقد الأدبي ، ص 85 .

المنارة للاستشارات

للكاتب وبدفعات الإبداع »[1].

يعتمد مورون في نقده، منهج التحليل النفسي الفرويدي، مضافاً إلى الألسنية البنيوية. ويقوم منهجه النقدي على مقاربة تسمح بتنظيم النص الأدبي حول بنيوية (رمزية) لأزمة ما، من أجل تقصي ملامح الأسطورة الشخصية للكاتب، وكيفية ظهورها عبر الصور والاستعارات الملحة عنده وبهذا يصبح النص تعبيراً مباشراً عن شخصية الكاتب وتكوينه النفسي.

ويعتقد مورون أن الكاتب يعبّر، من خلال رموزه، عن (فكرة) ثابتة أو (عقدة راسخة)، قد تكون أحياناً واقعية، وأحياناً خيالية. يتناولها الناقد، في بداية تحليله، (كفرضية) قابلة للتطوير، في سياق العمل. ثم يقوم بتحليل تماثلي للنصوص، وفق أسلوب التقدم والارتداد، آخذاً بعين الاعتبار جملة من المسلمات، من أهمها : اللاشعور، وأهمية الطفولة ودورها في تشكيل اتجاهات الشخص البالغ، وآثار بعض الوقائع الراسخة في اللاوعي والذاكرة، ووجود النزوع المتسلطة.

وعلى ضوء هذه المفاهيم النقدية، تناول مورون نتاج مجموعة من الأدباء أمثال: راسين، وبودلير، وفاليري، وبروست، وكوكتو... الخ. وطبّق عليه تقنيات منهجه النفسي التي تدور حول (المونولوج) الباطني والنزعة (المتسلطة) للأحلام والأفكار ذات الإيقاع الهذياني[2] ففي كتابه: من الاستعارات الملحة إلى الأسطورة الشخصية (1962)، قام مورون بتنضيد النصوص المختلفة للكاتب الواحد، من أجل اكتشاف شبكة (الاستعارات المتماثلة) ، و(الصور الميثولوجية المتسلطة)، و(المواقف الدرامية المتواترة)، متقصياً في النصوص، الوقائع والعلاقات المستترة، وشخصية الكاتب اللاشعورية، والشهادات، واليوميات، والملاحظات، والتداعيات اللاإرادية تحت البنى الإرادية المتجسدة في النص.

وبعد تنضيد النصوص وفق الاستعارات والصور الملحّة، تأتي الخطوة التالية في هذا المنهج النقدي، حيث يتمّ الكشف عن (الأسطورة الشخصية) للكاتب، والتي

(1) سمير سعد حجازي ، النقد الأدبي المعاصر قضاياه واتجاهاته ، ص 60 .

(2) سامي الدروبي ، علم النفس والأدب ، القاهرة ،دار المعارف ، ط2 ، 1981 ، ص 34 .

المنارة للاستشارات

هي عبارة عن استيهام دائم، يضغط على الكاتب ويظهر من خلال نصوصه الإبداعية.

و عند تطبيق مورون لمنهجه النقدي على ديوان (أزهار الشر) للشاعر بودلير، بدأ بتنضيد عدة قصائد نثرية، ثم قرّبها من حلم لبودلير، أدرجه الشاعر في رسالة كتبها إلى أحد أصدقائه .واستخلص أن ثمة شبكة ترابطية متسلسلة من الاستعارات الملحة تدور حول عبء شعري يربض بوزنه الشبقي على المرأة في قصيدته (دور وتيه الحسناء). ومخلوق خيالي لدن كالمطاط، يثير الشفقة في قصيدته (لكل منا وهمه). وقد انتهى مورون إلى أن الشاعر بودلير عاش تمزقاً حاداً بين الحلم والواقع، وأن هنالك صدعاً نفسياً لديه أشارت عقاربه إلى ساعة الزمن.

و على هذا الأساس ينظر مورون إلى الصيغ الأساسية التي يبنى عليها النص الأدبي والتي تقودنا إلى بناء الشخصية اللاوعية وبالتالي تكون الأسطورة الشخصية الهوام الذي يدعم عملية الإبداع والكتابة وتقوم ببنائه بشكل خاص وبالتالي يتواصل الأنا الاجتماعي والأنا المبدع دون وقوع التطابق بينهما ، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه سابقا في تلاقي شخصية المبدع ضمن مجموع الشبكات المكون في النص وهذا ما ذهب إليه مورون واجتهد في كشفه في أعمال مالارميه حيث ننقل على لسانه جملة « إنني أسهر وحيدا قلقا ، لأن أختي الميتة هي خلف هذا الجدار ، وهي ستظهر كعازفة موسيقية »[1] .

و بذلك فالمبدع لا يكتب إلا من خلال شبكة من البدائل SUBSTITUTION المختلفة وهذه الاستبدالات تحدث على مستوى الأماكن والانتقال من الفعل المتعدي إلى الفعل المبني للمجهول PASSIF أو المطاوع REFLECHI والنفي NEGATION وقلب العواطف RENVERSEMENT DES AFFECTS وترتبط جميع هذه العمليات الرمزية بإجراءات للقوى النزوية PULSIONNELLES[2] الجمالية التي تميز نقد مورون أنه لا يتوارى وراء الحقائق العامة للصراعات داخل الأثر الأدبي والمسلمات التي تواضع عليها من سبقه « بل هو ينكب بعناد على

(1) مجموعة من الكتاب ، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي ، ص86 .

(2) ينظر : أحمد كمال زكي، النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1981 ، ص 247 .

المنارة للاستشارات

تحليلها في خصوصيتها وإن التقت مع إيديولوجيا عامة (تحليلية نفسية) . فعند مورون أخلاقية ترفض تحويل شخصيات أو مؤلفين إلى شعارات من المفاهيم التحليلية التي تحدد ما هو إنساني عام»[1] و لقد وجه لمورون النقد الكثير لهذا السبب ولربطه الشخصية بالعمل وكشف تكثف تلك الشبكات الكامنة ، واتهم بأنه صاحب نزعة إنسانية HUMANISTE ، غير أن هذا ما يمنح عمله قيمة حقيقية وفعالية مملوسة ويشهد له إبداعه الجمالي في عالم النقد النفسي .

د . قيمة الدراسة السيرية :

تعتمد هذه الجمالية على دراسة العمل الأدبي بالاعتماد على سيرة المبدع ، فمورون يهتم بتأويل الأسطورة الشخصية والشخصية اللاواعية ، كما يهتم بوقع الأحداث النفسي على المؤلف ، وبذلك يكون العمل الأدبي مؤشرا على الطريقة التي تعرض فيها الذات نفسها وفق التسلسل التاريخي ، وبهذا كشف مورون « عن طريق قراءة القصائد ، مدى أهمية واقعة موت الأخت الصغرى ماريا عند الشاعر مالارميه ، وهو حدث أهمله كتاب سيرة هذا الشاعر »[2] وبذلك تؤثر هذه الحالات الشخصية لدى الشاعر في نظرته وإبداعه للعمل الأدبي وتتداعى كلما استدعى الأمر وهذا ما لمسناه في تفسير مورون لمالارميه في كل نصوصه وتتشابك هذه التداعيات مشكلة حدثا لا واعيا يعمل على إبداع النصوص وتتجاذبه شخصيتان . توصل « مورون إلى حل هذا اللغز : فالميتة الأخيرة L' ULTEME هي شقيقته ماريا ، أما ما قبل الأخيرة فهي أمه المتوفاة التي لا يأتي مالارميه على ذكرها إطلاقا . ويرتبط هذا الحداد الذي لا يرأب صدعه بصدمة نفسية تتولد طبقا للنظرية الفرويدية ، من تصادم حدثين يبقى أحدهما لا واعيا بصورة جذرية »[3].

هـ . التشكيلات التصويرية والمواقف الدرامية :

كل نص أدبي يتشكل من مجموعة من البنى التي تتضافر مع بعضها البعض

(1) مجموعة من الكتاب ،مدخل إلى مناهج النقد الأدبي ، ص87.

(2) المرجع نفسه ، ص88 .

(3) المرجع نفسه ، ص ن .

المنارة للاستشارات

وتتقاطع ضمنها كل العلاقات الممكنة والكامنة في المعنى بناء على ذلك يرى مورون أن هذه البنى وخاصة الشعرية منها سريعا ما ترسم تشكيلات تصويرية ومواقف درامية أو ما تسمى بالأنساق الكوميدية خاصة في المسرح ؛ فمورون يعلق على الموقف الدرامي عند قراءته لأعمال راسين قائلا أن « العنصر المهم في كل مسرحية ليس الشخصية بل العلاقات بين تشكيلين على الأقل أي الموقف الدرامي بحد ذاته »[1] وفي كل هذا فالأثر الأدبي تحكمه دراما بمنطق الصراع المأساوي بين مختلف مراكز القرار داخل الشخصية « غير أن التشكيلات هي ذاتها نتاج العلاقات بين الذات وموضوعاتها ؛ أي أنها مظاهر للشخصية اللاواعية فشخصية هيروديـاد تشكيل لشخصية مالارميه ولموضوع الأنثى المرغوبة الغاوية والمحرمة »[2].

هذه بعض أساسيات منهج شارل مورون النقدي ضمن نظرية النقد النفسي التي ابتكرها واجتهد في تأصيلها محاولا تخليص الأدب والأدباء من قيد التحليل النفسي السريري وتعد هذه المنطلقات جماليات تزين بها منهج مورون النقدي النفسي .

(1) المرجع نفسه ، ص84 .

(2) المرجع نفسه ، ص ن.

المنارة للاستشارات